مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 13، العدد 49 (شتاء 2002)، ص 84

تقرير خاص

خطاب دنيس روس، الموفد الأميركي السابق إلى الشرق الأوسط، في العشاء السنوي للجمعية البريطانية الإسرائيلية

لندن، 26 تشرين الثاني/ نوفمبر 2001*

[.....]

في سنة 1990 أقحمتُ عبارة "اللحظة المحدَّدة في أول خطاب يُلقى بعد الغزو العراقي للكويت، أول خطاب يلقيه الرئيس بوش في ذلك الوقت. لقد اعتقدت في حينه أن ذلك منطقياً تماماً، إذ كان من الواضح أننا كنا عند نهاية فترة الحرب الباردة، ولم نكن نعرف ما الذي سيأتي بعد ذلك، وبدا أننا بحاجة إلى التعامل مع الغزو كلحظة محدِّدة لأنه يحدِّد قواعد اللعبة لما سيأتي بعد ذلك. لكنني عندما أفكر في ذلك الآن، أرى أن ما حدث في سنة 1990 كان حدثاً مهماً، لحظة مهمة لكنها لم تكن لحظة محدِّدة. لقد كان 11 أيلول/ سبتمبر لحظة محدِّدة.

ما الذي يصنع اللحظة المحدِّدة؟ إنها نقطة مرجعية. فمنذ ذلك اليوم تفكرون في الأشياء من خلال ما حدث في 11 أيلول/ سبتمبر. ما الذي يؤدي إلى لحظة محدِّدة، ولا سيما من وجهة النظر الأميركية؟ منذ ذلك اليوم، ثمة اهتمام بالسياسة الخارجية. تذكّروا أنه، في الولايات المتحدة على وجه الخصوص، ونتيجة الحرب الباردة، لم يكن هناك موضوع توحيدي، ولم يكن هناك مبدأ توحيدي، ولم يكن هناك أي أساس تنظيمي ننشىء عليه أولوياتنا عندما يتعلق الأمر بالسياسة الخارجية والأمن الوطني. وبعد 11 أيلول/ سبتمبر وُجد كل ذلك.

قبل انهيار الاتحاد السوفياتي، كان لدينا نقطة مركزية لكيفية النظر إلى العالم في الخارج وتنظيم أفكارنا. بعد الاتحاد السوفياتي لم يعد لدينا نقطة مركزية، لكن بعد 11 أيلول/ سبتمبر أصبح لدينا.

لذا فإن 11 أيلول/ سبتمبر لحظة محدِّدة. إنه يصوغ طريقة تفكيرنا، ويحكم أولوياتنا، ويبني كيفية مقاربتنا للعالم الخارجي ويؤثّر أيضاً، في حالة الولايات المتحدة، بوضوح حتى في

---

* مصدر خاص. والنص مترجم عن الإنكليزية.

أولوياتنا الداخلية. لذا كان 11 أيلول/ سبتمبر لحظة محدِّدة بطريقة لم يكنها 1 آب/ أغسطس 1990. ولو كان عليّ أن أكتب ثانية لما كتبت "لحظة محدِّدة"، لكن الآن أكتبها.

لقد كان الرئيس بوش مصيباً تماماً عندما قال في أعقاب 11 أيلول/ سبتمبر إن ذلك سيكون نضالاتً طويلاً. ليس هناك إصلاح سريع. وسوف يحدد ذلك كيفية مقاربة العالم الخارجي لفترة طويلة قادمة، لكنني سأقدم ملحقاً لفكرة أنه صراع طويل. وعلينا مقاربة التعامل مع ذلك بشيء من الإلحاح. علينا إنشاء مجموعة أفكار جديدة. لقد تنبّه الوعي الجماعي للعالم في 11 أيلول/ سبتمبر، لكنه اليوم أقل تيقظاً جداً مما كان عليه آنذاك، وذلك ليس مفاجئاً. ستبقى الذاكرة، بالنسبة إلينا، حادة زمناً طويلاً، لكنكم سترون أن الذاكرة تتراجع مع الزمن في كل ما تبقى من العالم.

قبل نجاحات الأسبوع الأخير على الأرض في أفغانستان، كان في وسعكم البدء برؤية التغيرات على الصعيد الدولي. لا شك في أنكم شاهدتم التغيرات في الشرق الأوسط، لكنكم شاهدتموها هنا. كنت أتفحص نتائج الاستفتاءات في هذا البلد التي تطرح أسئلة عن القصف وتأثير القصف، وإن كان يجب القيام به، وإن كان يجب وقف القصف في رمضان – وتلك فكرة مثيرة للاهتمام لم تحكم الإيرانيين والعراقيين قط خلال ثمانية أعوام من الحرب، إذ لم يتورعوا قط خلال رمضان؛ وتجدر الإشارة إلى أن مصر وسورية عندما غزتا إسرائيل، لم تفعلا ذلك في يوم الغفران فحسب، بل في رمضان أيضاً. لكن السؤال المطروح هنا كان، ألا يجب وقف القصف في رمضان – وتلك إشارة إلى أن الوعي، الغضب المثار أخذ يتراجع.

لذا علينا أن نحاول عن وعي شديد إنشاء مجموعة أفكار جديدة، إجماع جديد، مجموعة جديدة من قواعد اللعبة للتعامل مع الإرهاب. وهنا أعتقد أيضاً أن إدارة بوش كانت مصيبة في محاولة بناء إجماع دولي لمحاربة الإرهاب. ففي النهاية، لا يمكنكم من جانب واحد وقف تدفق المال الذي هو عصب حياة الإرهابيين. ولا يمكنكم من جانب واحد وضع لائحة مراقبة تجعل من الصعب على الإرهابيين التنقل عبر الحدود. ولا يمكنكم من جانب واحد تطوير الاستخبارات التي تؤدي دوراً حاسماً في محاربة الإرهاب. ولا يمكنكم من جانب واحد إلغاء العقوبات أو الملاذات. يمكنكم تطوير العقوبات بشكل جماعي. وعندما تصل هذه العقوبات إلى حد استخدام القوة العسكرية، عليكم الحصول على أكبر قدر ممكن من المساندة الدولية لتبرير ما تقومون به. لذا عليكم مقاربة ذلك من موقف متعدد الأطراف، لكن الأهداف هي التي يجب أن توجه الائتلاف، ولا يمكن للائتلاف أن يوجه الأهداف.

يمكنني القول إن من السهل نسبياً إقامة ائتلاف دولي عندما تواجهون طالبان وأسامة من لادن، لكن ما الذي يحدث لو أشار مسار الأدلة إلى اتجاهات مختلفة؟ هل سيكون من السهل جمع

مثل هذا الائتلاف عريض القاعدة؟ ماذا يحدث لو أشار مسار الأدلة إلى العراقيين، أو حتى إلى الإيرانيين؟ هل سنجد عدداً كثيراً من الشركاء عندئذ؟

إنني لا أسوق هذه الأسئلة لأنني أعارض تطوير ائتلافات واسعة. إنني أقترح أن علينا اتخاذ موقف واقعي مما تستطيع الائتلافات فعله ومما لا تستطيع. وعلينا في النهاية العمل بشكل متعدد الأطراف لكل الأسباب التي ذكرتها، لكن علينا أيضاً في النهاية أن ندرك أن الأهداف هي التي توجه ما نقوم به لا الائتلاف. وإذا ما حدد الائتلاف الهدف، فسيحدد الأهداف بطريقة الحد الأدنى، لا بالطريقة التي حددها الرئيس. لقد حدد الرئيس معياراً. وأوضح بشكل جلي: "إمّا أن تكونوا معنا، وإمّا أن تكونوا مع الإرهابيين." لا يمكنكم أن تدعموا الإرهابيين من دون أن تدفعوا ثمن دعم الإرهابيين.

إن الحفاظ على ائتلاف عريض القاعدة سيوضع على المحك بمرور الزمن. وأذكر لكم الآن شيئاً واحداً يساعد في اجتياز الاختبار، وهو النجاح. في الشرق الأوسط، على وجه الخصوص، ثمة ثقافة أدعوها "ثقافة عربة الفرقة الموسيقية" – تركبون عربة الفرقة الموسيقية عندما ترون الفائز؛ تنضمون إلى الفائزين وتهربون من الخاسرين.

سيكون من السهل بعد نجاحنا التام في أفغانستان في التخلص لا من شبكة القاعدة وأسامة بن لادن فحسب، بل من طالبان أيضاً لأن هناك تأثيراً إيضاحياً. والتأثير التوضيحي هو أنكم إذا كنتم نظاماً يدعم الإرهاب فستدفعون الثمن، وسيساعدنا ذلك مع دول مثل سورية – عليها أن تقرر إن كانت ستواصل تقديم القواعد ومعسكرات التدريب لحماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والقيادة العامة للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين [هكذا في الأصل]؛ وإن كانت تريد الاستمرار كقناة لعبور كل أنواع الأسلحة إلى حزب الله؛ وإن كانت تريد التنحي جانباً والقبول بأن يبدو وادي البقاع شبيهاً جداً بأفغانستان من ناحية معسكران تدريب الإرهابيين.

وربما يكون للأثر الإيضاحي تأثير أيضاً في بعض أصدقائنا الذين يشعرون بالإحراج قليلاً لوقوفهم العلني معنا باعتبارهم أصدقاءنا. سيسهّل النجاح الحفاظ علة الائتلاف مع الزمن، لكن يجب ألا تعترينا الأوهام. لن يكون الوصول إلى ائتلاف عريض القاعدة اقتراحاً بسيطاً. فعلينا بذل أقصى ما نستطيع لتغيير مجموعة الأفكار الجماعية من أجل التوصل إلى إجماع أوسع. وللقيام بذلك، علينا أن نكون مستعدين أيضاً – وأنا أتحدث هنا عن الولايات المتحدة. علينا أن نكون على استعداد للتأثير في تفكيرنا، في مجموعة أفكارنا. وسأطرح بعض الأمثلة لما أعنيه.

في الاستخبارات: عندما نتناول هذه المسألة الآن، بعدما عانينا جرّاء مفاجأة هائلة، مفاجأة كارثية في 11 أيلول/ سبتمبر، يجب أن يكون التواضع هو المبدأ الأول الذي يقودنا. إن من

يأتي إليكم ويقول: "إننا نعرف كل ما يجب معرفته عن المسؤول عن 11 أيلول/ سبتمبر" يجب ألاّ تصدقوه. وأنا لا أصدقه. فكيف تنتقلون من التفاجؤ الكارثي في 11 أيلول/ سبتمبر وتشعرون، بعض مضي شهرين أو أكثر قليلاً، بأنكم تعرفون كل ما يجب أن تعرفوه؟ فما من سبيل لأن نكون بلغنا ذلك الموقف. وربما يلزمنا ستة أشهر، وربما عام، وربما عامان كي نعرف معرفة تامة من المسؤول. لذا فإن التواضع مبدأ دليلي جيد لكيفية التفكير في الاستخبارات.

ثمة عنصر ثان بشأن الاستخبارات علينا التنبه له: إنّنا لم نعان جرّاء مفاجأة كارثية فحسب، بل عانينا جرّاء مفاجأة استراتيجية أيضاً. فمن الأشياء التي ترونها أن كل المعلومات التي نحتاج إلى معرفتها، وكل الأدلة التي تحول دون المفاجأة، كانت متوفرة. وسواء أكانت بيرل هاربر بالنسبة إلينا في سنة 1941 أم كانت إسرائيل في سنة 1973، فالأمر لم يكن يتعلق بغياب المعلومات الذي أحدث المفاجأة، وإنما كان سوء تفسير الأدلة الموجودة. أتظنون أن الأمر لا ينطبق في هذه الحالة؟ سأضرب لكم مثالين في ذلك:

في سنة 1994 اعتقل الفرنسيون جزائريين كانوا يخططون لاختطاف طائرة وصدمها ببرج إيفل. ربما تقولون الآن: "حسناً، إنهم الفرنسيون، وهؤلاء جزائريون – لقد كانت شبكة القاعدة."

في سنة 1995 قبض الفيليبينيون على عضو في شبكة القاعدة كشف أن لدى الشبكة خططاً لاختطاف طائرة وصدمها بمقر وكالة الاستخبارات المركزية – سنة 1995.

أتعتقدون الآن أن ذلك اعتُبر تهديداً قابلاً للتصديق، أو خطة يمكن تصديقها؟ طبعاً لا. وهل أطرح هذا المثل للإيحاء بأن علينا توجيه أصابع الاتهام إلى أشخاص في حكومتنا لم يروا ذلك؟ لا. ولو كنتُ في موقعهم لكنت ربما خلصت إلى النتائج نفسها التي توصلوا إليها.

المسألة لا تتعلق بالبحث عمن تقع الملامة. المسألة تكمن في تعلّم دروس الماضي. لماذا لم نأخذ ذلك على محمل الجد؟ ما الذي يوجد في افتراضاتنا وقادنا في اتجاه مختلف؟ وما الذي يوجد في افتراضات الإرهابيين من ناحية كيفية نظرتهم إلينا؟ أظن أنهم يفهموننا أفضل مما نفهمهم.

تسمعون كلاماً كثيراً عن إرخاء القيود المفروضة على وكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الفدرالي. وأن ذلك هو الرد في التعامل مع مشكلة الاستخبارات. وتعلمون أن ذلك قد يكون الحل، ولن أعترض عليه لأنني أعتقد أن الأمن يأتي أولاً، لكنني أقول إنني مهتم بالأسلوب المنهجي بقدر اهتمامي بالقيود. إننا بحاجة إلى فحص جاد للأسباب بعد وقوع الحدث، لماذا ارتبنا من المؤشرات التي كانت لدينا، ولماذا أسأنا تفسيرها، ولماذا ارتبنا من حقائق أساسية محددة، ومتى فعلنا ذلك سنكون في موقع أفضل لمعرفة ما يجب أن نعرفه. لكننا لسوء

الحظ لا نعرف في هذه المرحلة ما لا نعرفه، لذا علينا إبداء التواضع من جهة، وتفحّص أسباب الحدث من جهة أُخرى.

ثمة سبب آخر لضرورة فحص جدي للحدث بعد وقوعه. لا أشك قط في أننا كنا عرضة أيضاً للخداع والإعلام المضلِّل، ولا أعتقد أن الخداع والإعلام المضلل توقفا في 11 أيلول/ سبتمبر. فإذا كانا جزءاً أساسياً من خطتهم قبل 11 أيلول/ سبتمبر، فلماذا يتوقفان بعد 11 أيلول/ سبتمبر؟

لنأخذ في الحسبان أننا تلقينا في الأشهر الستة التي سبقت 11 أيلول/ سبتمبر كل أنواع المؤشرات إلى تهديد المصالح الأميركية، ولا سيما السفارات. لم نتلق مؤشرات تهديد بشأن الولايات المتحدة، بل تلقيناها في الخارج. أتظنون أن تلك مصادفة؟ أليس من الممكن أن يكون سبب تلقينا كل مؤشرات التهديد تلك أنهم لم يريدونا أن نتفحص التهديدات المحتملة في الولايات المتحدة؟ أقول إن ذلك قد يكون ممكناً ليس إلاّ. وهذا أيضاً سبب آخر يدعونا إلى إجراء تفحص جاد بعد وقوع الحدث. يمكننا أن نشعر بالثقة أكثر بشأن المستقبل إذا لم تعد تعترينا الدهشة عندما نتعلم الدروس التي علينا تعلمها من الماضي. هذا بشأن الاستخبارات.

ماذا عن الدبلوماسية؟ ستلاحظون، بالمناسبة، أن هذه أسئلة لا تتوخى الإجابة! ونادراً ما أطرح أسئلة لا أستطيع الإجابة عنها. إن أرضتكم الإجابات فتلك قصة أُخرى، لكنني أستطيع الإجابة عنها ولا ريب.

عندما يتعلق الأمر بالدبلوماسية، فإن الأشياء التي نقوم بها تبدو منطقية تماماً – بناء إجماع، ووضع مقاربة مشتركة لفرض القانون، وبناء مقاربات مشتركة للتشارك في الاستخبارات والتوصل إلى عقوبات متفق عليها للتعامل مع الذين يدعون الإرهاب. كل ذلك يبدو منطقياً، وربما يكون من الممكن إيجاد مستوى من الإجماع على تلك المسائل لم نتمكن من إيجاده في السابق. لقد حاولنا في الماضي لكننا لم ننجح. ربما يغيّر 11 أيلول/ سبتمبر ذلك، لكن ذلك ليس طريقة جديدة في التفكير. وذلك جيد – إنه شرط لازم لكنه ليس شرطاً كافياً. علينا أن نتوصل إلى مجموعة أفكار جديدة من أجل الدبلوماسية.

علينا أن نعرف متى نستخدم كل أدوات الدولة... إنها جيدة وصالحة، لكنها ليست كاملة إذا لم ندرك أيضاً أنه لكسب هذا الصراع علينا أن نتعامل مع البعد النفسي للصراع مع الذين يسعون وراء الإرهاب. وفي النهاية علينا نزع الثقة من الإرهاب، وطريقة نزع الثقة من الإرهاب هي بتوضيح عدم وجود قضية تبرر الإرهاب، ونزع الثقة من أي قضية تستخدم الإرهاب.

ما من مكان أكثر أهمية من الشرق الأوسط للتعامل مع تلك المقدمة المنطقية الأساسية البسيطة. ولا شك في أن الشرق الأوسط ليس المكان الوحيد الذي نشهد فيه الإرهاب، لكنه من

الأماكن القليلة التي يبرر فيها الإرهاب على أساس يومي. ليس هناك إرهاب مقبول في مكان ما، أو قضية في منطقة ما تبرر استخدام الإرهاب، لأنه إن كان هناك قضية في مكان ما يمكنها تبريره، فثمة قضية أُخرى يمكنها تبريره أيضاً. ونحن لن ننجح في هذا الصراع ما لم نوضح أنكم إذا استخدمتم الإرهاب تفقدون شرعيتكم. ومن الأمور التي يجب أن تحدث أن على أصدقائنا في الشرق الأوسط النهوض بمسؤولياتهم. ليس من المقبول، ولا يمكن القبول بأن ينشىء كثير من أصدقائنا مناخاً تُمجَّد فيه العمليات الانتحارية، ويعامل فيه الذين يرتكبون الاعتداءات الإرهابية كشهداء – لا كوحوش، أو "القتلة" كما قال الرئيس بوش. لقد قال الرئيس بوش شيئاً مهماً جداً في خطابه في الأمم المتحدة. قال: "ما من تطلعات وطنية، وما من خطأ يُستذكر يبرر القتل." ويجب أن يصبح ذلك حقيقة في الشرق الأوسط. لقد آن الآوان لمقاربة وسائل الإعلام بطريقة مختلفة، وهي التي ليست حرة أساساً إلاّ في كراهية إسرائيل والولايات. إنني لست ضد حرية وسائل الإعلام في الشرق الأوسط. أحب أن أرى وسائل إعلام حرة في الشرق الأوسط، إنما أنا ضد الأنظمة التي تتسامح مع أقصى أنواع الشائعات الكاذبة الحاقدة.

في الصحافة المصرية السائدة، لا يزال الموساد يعتبر اليوم مسؤولاً عما حدث في 11 أيلول/ سبتمبر. كيف يمكنكم كسب الصراع ضد الإرهاب، وكيف تروجون للسلام إذا ما استمر هذا النوع من المعتقدات الشيطانية الكاذبة والشريرة؟ إننا، من جانبنا، لم نعد نحتمل ذلك. وهذا ما حدث. نظرنا إلى ذلك وقلنا: "إنها طريقة للتنفيس، وسائل الإعلام هي صمام الأمان لديهم لتحرير العدائية والغضب." إذا كنا قبل 11 أيلول/ سبتمبر نستطيع عدم أخذ ذلك على محمل الجد، فإننا بعد 11 أيلول/ سبتمبر لا يسعنا تبني ذلك الموقف.

لذا إذا كنا سننجح في محاربة الإرهاب علينا تغيير المناخ الذي يُسمح فيه للإرهاب بالازدهار، وما من منطقة ينطبق عليها ذلك أكثر من الشرق الأوسط.

إنني أربط ذلك، لا بمحاربة الإرهاب فحسب، بل بالترويج للسلام أيضاً. إنني أحد المؤمنين بأن على العرب والفلسطينيين عدم التخلي عن قضيتهم، وعدم التخلي عن شكواهم. كما أؤمن أيضاً بأن للفلسطينيين تطلعات مشروعة. ولا أعتقد أنه يمكن التعامل معها إلاّ من خلال الوسائل السياسية، لكن عليهم أن يتبنوا موقفاً مسؤولاً. ليس عليهم التخلي عن شكاواهم، لكن عليهم متابعتها بطرق مشروعة. وإذا أرادوا أن نتدخل بفعالية في تشجيع السلام في الشرق الأوسط، وهو ما أعتقد أنه مسؤولية أميركية – لم يكرس أحد من حياته لتلك الغاية أكثر مما فعلت وما من أحد يبقى ملتزماً ذلك أكثر مني – لكنني أقول لكم إننا لا نستطيع النجاح في الترويج للسلام في جو لا يكون العرب مستعدين لتحمل مسؤوليتهم.

إن مسؤوليتهم، إذا أرادوا منا أن نتحمل مسؤوليتنا، هي تهيئة مناخ يكون لنا فيه فرصة للنجاح. ولن يكون لدينا فرصة للنجاح إذا لم يتم تهيئة مناخ يبرر الإرهاب ويضفي الشرعية على السلام [هكذا في الأصل]. ويجب أن تكون تلك القاعدة الأولى بالنسبة إلينا.

وعندما يصل الأمر إلى الفلسطينيين وياسر عرفات، عليه أن يقوم بالاختيار. لم يعد يستطيع الجمع بين الخيارين. ما من أحد أمضى مع ياسر عرفات خارج العالم الفلسطيني الوقت الذي أمضيته معه. ولا أقول ذلك على أساس أنه شارة شرف، وإنما أقوله كإشارة إلى تحملي! لقد أمضى عمراً في تجنب الاختيار. إنه متجنب للقرار لا صانع قرار. لقد ذهب إلى أوسلو لا كخيار استراتيجي، بل لانعدام الخيار. وإذا أردتموه أن يختار وكان عليه الاختيار، عليه أن يفهم أنه لا يوجد أمامه خيار ، وبخلاف ذلك لن يقوم بما هو صعب عليه. وذلك، بالمناسبة، صعب عليه. وهو أصعب عليه اليوم مما كان قبل شهرين، أو أربعة أشهر، أو ستة أشهر مضت. لم يعد لديه السلطة التي كانت لديه قبل عام، لكن على من يقع الخطأ؟

إنه يتحمل المسؤولية عن الوضع الذي نمر به، وهو صعب – أعرف أنه صعب – وإذا ما اختار، كما ينبغي له، فإن على الإسرائيليين أن يقابلوه بالمثل. وعلى الإسرائيليين أن يرفعوا أيديهم عن خناق الفلسطينيين إذا فعل ما هو ضروري. والاعتقاد أنه يمكننا الانتقال مما نحن فيه إلى حل أمر مستحيل ووهم.

أخبرت عدة أشخاص يجلسون إلى طاولتي أنني اتخذت قراراً قبل عام بترك عملي ككبير المفاوضين الأميركيين في نهاية إدارة كلينتون. اتخذت ذلك القرار لأني كنت أعلم أن البندول سيتأرجح. وإذا لم ننجح في التوصل إلى حل قبل انتهاء ولاية كلينتون، فسنعود إلى ما كانت عليه الأمور بين سنة 1996 وسنة 1999 عندما كنت أساساً مديراً للأزمة، زكنت إطفائياً إلى درجة أن أحد المشتغلين في وسائل الإعلام الأميركية قال إنه يجب أن أحصل على جائزة إطفائي العام. لم أكن مستعداً للعودة إلى إدارة الأزمة ومكافحة الحرائق.

لقد استُثمرت في حل. وأعتقد أن الحل لا يزال ممكناً، لكن ليس الآن. لا يمكنكم حل مسائل وجودية، مثل القدس أو اللاجئين، تدخل في صلب تحديد الذات والهوية في بيئة فقد الطرفان فيها الإيمان. إن الأمر لا يتعلق بفقد الثقة، وإنما بفقد الإيمان.

إن كلا الجانبين، الإسرائيلي والفلسطيني، لا يؤمنان اليوم بوجود شريك للسلام. تعرفون أن ذلك هو شعور الإسرائيليين، لكنني أقول لكم إن ذلك هو شعور الشارع الفلسطيني أيضاً. وفي مثل هذه البيئة تكون المهمة الأولى إعادة بناء الإيمان، ويتم ذلك بإعادة إنشاء المقدمة المنطقية الأساسية لصنع السلام. والمقدمة الأساسية لصنع السلام هي حصول الإسرائيليين على الأمن – لا

بالأقوال ولا نظرياً وإنما في الواقع اليومي – وحصول الفلسطينيين على إنهاء السيطرة الإسرائيلية على حياتهم. ويجب أن يتأكد كل شيء يُنجز في الواقع، لا في الأقوال أو الخطابة.

ويجب التركيز على ذلك الآن، بتوجّه وليم بيرنز إلى هناك، ومعه الجنرال زيني. كيف تجعلون تلك المقدمة واقعاً لكلا الجانبين؟ لقد حددت خطة عمل تينت جدولاً زمنياً وخطوات محددة ينبغي لكل جانب القيام بها في الأسبوع الأول. وتقرير ميتشل هو أساساً سجل بالخطوات التي على كل جانب أن يتجنبها كي لا يضع الآخر في الزاوية. لا يمكننا تغيير المواقف مثل مفتاح الضوء الذي يمكن فتحه وإغلاقه. ولا يمكنكم استعادة الإيمان بين ليلة وضحاها. والذين يتحدثون عن محاولة الوصول إلى حل الآن إنما يعيشون في كوكب آخر. عليكم أن تبدأوا أولاً بتثبيت الاستقرار، ولن يكون هناك استقرار إذا لم يكن هناك عملية سياسية. عليكم التوصل إلى اتجاه يُعطي الأمل، والأمل – إلى جانب الاستقرار والأمن – يعيد إضفاء الشرعية على فكرة صنع السلام حيث يجب أن نبدأ.

لقد قلت إنني سأتحدث لمدة 25 دقيقة – ولا أعرف كم مضى عليّ وأنا أتحدث – لكنني سأبدي ملاحظتين أخيرتين ثم أجيب عن أسئلتكم:

كثيرون قالوا لي: "لا بد من أنك كنت متفائلاً كي تفعل ما فعلت هذه المدة الطويلة"، وكنت أقول: "لا، كنت واقعياً". ولا أزال أقول إنني كنت واقعياً إذ لا يوجد بديل آخر، على الأقل بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وسبب تركيزي عليهم، لا على المدار العربي الأوسع فيما يتعلق بصنع السلام الآن، هو أن الصراع بين سورية وإسرائيل ليس صراعاً وجودياً. إنه صراع دولة مع دولة حيث المشكلات تقنية أساساً وقد أزيل عنها الغموض، وأنتم عندما تتفاوضون ترغبون دائماً في ضمان عدم وجود سمات غامضة تحيط بأي مشكلة. تريدون أن تجعلوها مسألة تقنية لأنها إن كانت تقنية يمكنكم إيجاد حل لها.

الصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين صراع وجودي، لأن هناك حركتين وطنيتين لهما مطالب متداخلة ويجب فصلها. إن أفكار كلينتون التي وضعناها على الطاولة في 23 كانون الأول/ ديسمبر من السنة الماضية مثّلت أحد أقصى المساعي من جانبنا لاجتياز الميل الإضافي. لقد وضعنا معاً مقاربة عكست آلاف الساعات من الجدال والبحث والنقاش والتحليل – سمّوها ما شئتم – لقد فعلنا ذلك من أجل التوصل إلى شيء يستطيع كل جانب العيش معه. عندما تفاوضون للتوصل إلى سلام لا تقومون بالتوفيق بين الشعارات، ولا بالتوفيق بين الحقوق، وإنما بالتوفيق بين الحاجات.

إننا لسنا في هذه المرحلة اليوم، لكننا سنعود إليها في وقت ما. كنت أذهب إلى منزل رئيس الحكومة براك، أيام السبت. وهو يقيم بمكان يُدعى كوخاف يئير، ويبعد ثمانمئة متر عن

قلقيلية، إحدى أكبر المدن الفلسطينية في الضفة الغربية. إن كل من يعتقد أن هناك بديلاً من التعايش السلمي بين الإسرائيليين والفلسطينيين لا يُدرك حقائق حياة الإسرائيليين والفلسطينيين.

إن البديل الوحيد من التعايش السلمي هو الصراع الدائم، والألم الدائم، والحزن الدائم، والضحايا الدائمون، والعنف الدائم، والأسى الدائم؛ وذلك أمر غير مقبول. وأقول لكم، من واقع خبرتي التي اكتسبتها في التعامل مع الجانبين، إنهما يعرفان ذلك. أقول لكم إن الفلسطينيين يعرفون ذلك. عندما تلج إلى ما تحت السطح يعرفون ذلك. والتحدي الآن هو إيجاد طريقة لإخراج...

.....

يجب أن يعرف الجمهور الإسرائيلي أنه ليس وحده، وهو يشعر اليوم بأنه لم يعد يحمل الشتات معه بالضرورة. إن كنتم تؤمنون بالسلام، توجهوا إلى إسرائيل. وعلى الفلسطينيين أن يعرفوا أن العنف لا ينجح.

لذا إنني أثنّي على كونكم تقودون مهمة في الغد. وكما قلت، لأنني أحاول دائماً في النهاية تسجيل رؤية بعيدة، ولأنني لا أرى بديلاً من التعايش السلمي، أؤمن بأننا سنعود إلى صنع السلام في وقت ما. وسنجد أن البنية التحتية الفكرية التي يجب وضعها في مكانها للوصول إلى اتفاق نهائي وُضعت في مكانها في السنة الفائتة، وسوف نتمكن في مرحلة ما من إعادة إنشاء الأوضاع والشروط كي يصبح ذلك حقيقة واقعة. ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx